المحاضرة الأولى

# مفاهيم حول علم النفس الإجتماعي

# Social psychology concepts

# Définitions de la psychologie sociale

**تمهيد:**

بسبب تسميته التي تتضمن مفردتين في علاقة مع علمين مستقلين وهما علم النفس وعلم الإجتماع؛ أُعتُبر علم النفس الإجتماعي في بداياته كاختصاص وسيط بين هذين الأخيرين أو بين علم النفس وبين الأنثروبولوجيا، أي بين الجانب الشخصي الداخلي المتعلق بالفرد وبين الجانب الإجتماعي الخارجي المتعلق بالعلاقات بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمع ككل، حيث كان يشار له كأنه "علم إجتماع مصغر" أو "أنثروبولوجيا مصغرة"، وإن كان هذا اللبس بشأن موضوع علم النفس الإجتماعي لم يعد قائما بين المختصين فيه وبين المختصين في علم النفس بشكل عام، فإن كثيرا من المنتمين لاختصاصات أخرى لا يزالون يرون فيه مجرد تجميع لمعارف من كلا التخصصين وهي نظرة غير دقيقة لموضوع علم النفس الإجتماعي ومناهجه وأدواته البحثية وميادينه التطبيقية، لذلك ستكون هذه المحاضرة فرصة لطلبة الإعلام والإتصال لإزالة هذا اللبس من خلال الإضطلاع على نشأة هذا العلم وتطوره والتعاريف المقدمة له وكذا ميادينه التطبيقية.

## 1. نشأة وتطور علم النفس الإجتماعي:

يصعب تحديد بدايات علم النفس الإجتماعي بدقة (كما يصعب فعل ذلك مع كل العلوم) فالسنوات المقدمة عادة تعتبر نقاط معلمية لوضع هذا العلم في سياقه التاريخي والفكري أكثر من كونها تواريخ ميلاد كما هو الشأن بالنسبة للأفراد.

هناك العديد من الفلاسفة الذين شكلت أفكارهم وكتاباتهم تمهيدا لظهور علم النفس الإجتماعي العلمي وأهمهم: أفلاطون Platon، أرسطو Aristote، كانط Kant، هيجل Hegel، لوك Locke، بانتهام Bentham، ميل Mill، هوبس Hobbes، روسو Rousseau، كونت Comte (Gergen, Gergen, 1984, p6) وقد اشتركت جميع تلك الكتابات في الإشارة إلى العلاقة بين الفرد والآخرين، حيث تحدث أفلاطون مثلا على ما أسماه "تفكير الجمهرة the crowd mind" وهي وضعية رأى فيها أن أذكى الأفراد يمكن يتحولوا إلى غوغائيين وسوقيين غير عقلانيين لو جُمِعوا في حشد مع غيرهم (محمد السيد، 2004، ص19)، أما كونت فاعتبر أن الإنسان مُشكَّل من طرف المجتمع الذي يعيش فيه (Fischer, 2005, p8) وهي أفكار أعيد طرحها فيما بعد مع بداية الأعمال المُؤسِسة لعلم النفس الإجتماعي.

تعود بدايات علم النفس الإجتماعي في أوروبا إلى النصف الثاني من القرن 19، وقد بدأ الإشتغال على هذا الحقل العلمي في ألمانيا مع لازاروس Lazarus وشتاينثال Steinthal اللذان أسسا في سنة 1860: "مجلة علم نفس الشعوب واللسانيات la revue de psychologie des peuples et de linguistique"، أما في إيطاليا فقد كان ذلك مع كاثانيو Cattaneo الذي ناقش سنة 1864 "الأطروحة المضادة L'antithèse" كمنهج في علم النفس الإجتماعي، أما في فرنسا فبدأ سنوات فيما بعد مع طارد Tarde (1898) ولوبون Le Bon (1895) (Berjot, Delelis, 2005, p6) حيث أجرى الأول دراسة حول التحول الإجتماعي، في حين اهتم الثاني بالدور الرئيسي للعواطف في الجمهرة la foule وذوبان الضمير الفردي في الضمير الجمعي (الوافي، 2012، ص13).

في سنة 1900 قدم ثيودول ريبو Théodule Ribot علم النفس الإجتماعي في الطبعة الرابعة للمؤتمر الدولي لعلم النفس الذي أقيم في باريس (Bromberg, Trognon et autres, 2006, p5)، وظهرت أول يدوية في علم النفس الإجتماعي لمؤلفها أورانو Orano في سنة 1902 وكانت بعنوان: "دراسة في علم النفس الإجتماعي"، لكن علم النفس الإجتماعي عرف انطلاقته الحقيقية في الولايات المتحدة سنة 1908 مع روس Ross وماك دوغال Mc Dougall من خلال كتابيهما "علم النفس الإجتماعي" و"مقدمة في علم النفس الإجتماعي" حيث عُرفا فيما بعد كرواد لهذا الإختصاص (Berjot, Delelis, p6) وقد ركز الأول أبحاثه على الغرائز les instincts وحاول تفسير السلوك الإجتماعي بمراقبة هذه الأخيرة، أما الثاني، فقد فسر سلوك الفرد في المجتمع انطلاقا من ظاهرة التقليد (Fischer, p4).

## 2. تعريف علم النفس الإجتماعي:

يصعب إيجاد تعريف شامل لعلم النفس الإجتماعي، فالتعاريف الموجودة تتناول حقلا واحدا أو اثنين من حقول البحث في هذا الإختصاص:

- **تعريف ألبورت Allport (1954):** إعتبر ألبورت علم النفس الإجتماعي العلم الذي يهدف لفهم وتفسير كيف تتأثر الأفكار، المشاعر، السلوكات الحركية للكائنات البشرية بالآخر الحقيقي l'autrui réel (الشخص الجسدي) أو الخيالي (imaginaire)، وكل ما يقود الفرد إلى المعرفة والأخذ بالحسبان طابعه الإجتماعي (الجماعة الإجتماعية) والضمني (الإطار السوسيو-ثقافي، المعايير والقيم).

- **تعريف ميزونوف Maisonneuve (1964):** الذي اعتبر أن «موضوع علم النفس الإجتماعي هو التفاعل والعلاقة، أي تفاعل التأثيرات الإجتماعية والشخصيات الفردية، علاقات الأفراد فيما بينهم والجماعات فيما بينهم» (Reuchlin, Huteau, 1995, p126).

- **تعريف موسكوفيسي Moscovici (1970):** الذي اعتبر فيه أن «علم النفس الإجتماعي هو علم ظواهر الأيديولوجيا (المعارف والتصورات الإجتماعية) وظواهر التواصل، على مختلف مستويات العلاقات الإنسانية: العلاقات ما بين الأفراد، ما بين الأفراد والجماعات، ما بين الجماعات» (Moscovici, 1984, p7).

تعكس هذه التعريفات تركيز أصحابها على الحقول البحثية التي يشتغلون عليها أكثر من سعيها لتمييز موضوع علم النفس الإجتماعي عن مواضيع بقية العلوم الإجتماعية (علم النفس وعلم الإجتماع بالتحديد).

قدم موسكوفيسي ما سماه "النظرة البسيكو–سوسيولوجية" التي تميز علم النفس الإجتماعي عن علم النفس وعلم الإجتماع أو اتحادهما معا، ففي علم النفس يهتم المختصون بكيفية إدراك الفرد للموضوع:

**الفرد (العضوية، الأنا ego) le sujet individuel ← الموضوع (المثير، المحيط)**

في حين يهتم المختصون في علم الإجتماع بالعلاقة بين الشخص الجماعي وموضوع يختلف بين الإجتماعي وغير الإجتماعي:

**الشخص الجماعي le sujet collectif ← موضوع يختلف بين الإجتماعي وغير الإجتماعي**

أما النظرة البسيكو–سوسيولوجية التي تحدد موضوع علم النفس الإجتماعي فتترجم بقراءة ثلاثية للأفعال والعلاقات، حيث يدرس إدراك الفرد للموضوع من خلال تأثره بالآخر (الشخص الإجتماعي) (Moscovici, p7):

**الموضوع Objet**

**(الفيزيقي، الإجتماعي، الخيالي أو الواقعي)**

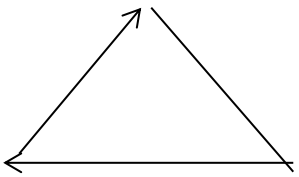

**الآخر Alter** **الأنا Ego**

**المخطط 01: يوضح النظرة البسيكو–سوسيولوجية**

يبين عرض النظرة البسيكو–سوسيولوجية أن الفرد وعلاقته بمختلف مستويات الواقع الإجتماعي هو مركز إهتمام علم النفس الإجتماعي، وذلك على عكس علم النفس الذي يهتم أكثر بتأثير السيرورات الداخلية (البيولوجية، الفيزيولوجية، الدينامية والمعرفية) على معاش الفرد وسلوكاته. وقد حدد دواز Doise (1982) أربع مستويات من التحليل يحدد جمعها ما هو علم النفس الإجتماعي:

- المستوى داخل فردي/ نفسي: نبحث فيه عن تفسير السلوك في الفرد نفسه.
- المستوى ما بين الأفراد: نبحث فيه عن تفسير السلوكات في محيط الأفراد دون أي شيء آخر لا يدخل كعنصر في التفاعل الإجتماعي الجاري.
- المستوى المكاني le niveau positionnel: نبحث فيه عن تفسير السلوكات في المركز الخاص الذي يشغله الفرد في نظام إجتماعي معين.
- المستوى الأيديولوجي: نأخذ فيه بعين الإعتبار نظام معتقدات الأفراد، تصوراتهم والديناميكيات الإجتماعية الحقيقية التي يتواجدون فيها (Berjot, Delelis, p8).

### 3. ميادين علم النفس الإجتماعي:

بما أنه لا يوجد ميدان من ميادين الحياة اليومية يخلوا من تواجد الأفراد والجماعات والتفاعلات الحاصلة فيما بينهم، فإن علم النفس الإجتماعي بما يقدمه من نظريات ونماذج تفسيرية أو تنبؤية للسلوك وحلول عملية لمختلف الظواهر البسيكو–سوسيولوجية هو محل اهتمام من قبل تخصصات عديدة (علم النفس التنظيم والعمل، علم النفس الرياضي، علم الإعلام والإتصال، علم النفس الصحة، علم التسويق، إلخ)، وفيما يلي أهم الميادين التي تستفيد يوميا من تطور الأبحاث في علم النفس الإجتماعي:

**أ. التربية، التعليم، التكوين:** تعتبر المدرسة مجتمعا مصغرا تظهر فيه مختلف مظاهر الحياة الإجتماعية، ويحاول فيه المجتمع نقل معاييره، قيمه ومعتقداته إلى الأجيال الصاعدة، وهذا ما يجعل التلميذ في تفاعل مستمر مع المعلم والزملاء والإداريين ومع ما تنقله البرامج الدراسية من معارف وقيم ومعتقدات وأنماط في التفكير. وبما أن تعلم التلميذ وتأقلمه في وسطه المدرسي مرهون بالمتغيرات المميزة لوسطه الأسري والإجتماعي وبقدرته على التكيف في المدرسة، فعادة ما توظف نظريات علم النفس الإجتماعي لمعرفة وفهم مختلف مراحل التنشئة الإجتماعية، مظاهر التنافس والتعاون والنشاط الإجتماعي داخل حجرة الدرس (الوافي، ص18–19)، كما تستغل الأنشطة اللاصفية المستوحاة من تجارب المختصين في هذا العلم لتشجيع المنافسة والتعاون بين المتعلمين، أو الخفض من القوالب النمطية les stéréotypes السائدة بين التلاميذ بخصوص الجنس والعرق والدين (محمد السيد، ص27). أما في ميدان تكوين الراشدين فكثيرا ما يوظف التحليل النفسو–إجتماعي لوضعيات التكوين.

**ب. الإعلام والدعاية:** تكتسي عمليات التواصل بين الأفراد، داخل الجماعات، ما بين الأفراد والجماعات أو ما بين الجماعات والجماعات أهمية كبيرة بالنسبة للمختصين في علم النفس الإجتماعي، وعادة ما توظف أبحاث هؤلاء من قبل المختصين وممارسي الإعلام والإتصال، وبالخصوص تلك المتعلقة بأثر وسائل الإعلام والإتصال في عمليتي التنشئة الإجتماعية والتطبيع الإجتماعي، الدعاية وأسسها وفعاليتها، دراسة الجمهور،

صناعة الرأي العام، تغيير الإتجاهات، تأثير شبكات التواصل الإجتماعي، إلخ (Reuchlin, Huteau, p126).

**ت. الإقتصاد، الإنتاج، إدارة الموارد البشرية، الأعمال، الإستهلاك:** تعتبر دراسات مايو (1930) وتايلور المبكرة في ميدان الإنتاج والعلاقات داخل المؤسسات خير دليل على أهمية أبحاث علم النفس الإجتماعي في ميدان الإقتصاد والإدارة والإنتاج والإستهلاك، فهي تتيح للإقتصاديين الحصول على نماذج للتنبؤ بالسلوك الفردي أو سلوك جماعة صغيرة في وضعية شراء، هبة أو دفع ضريبة (Bromberg, Trognon et autres, p26) والمتغيرات التي تتدخل في قرار الإستهلاك ك: السن، الجنس، الطبقة الإجتماعية، مكان السكن، كما يساعد هذا الإختصاص على فهم سيكولوجية الإعلان عن السلع، ويفيد المدراء وأصحاب الأعمال في سعيهم لفهم العلاقات الإنسانية الإجتماعية بين العمال فيما بينهم وبينهم وبين أصحاب العمل، وكيفية رفع روحهم المعنوية وزيادة إنتاجهم (الوافي، ص18-19)، وكذا تقييم الرضا الوظيفي للعامل، دافعيته للعمل، وقدرته على استيعاب ثقافة المؤسسة، وقدرة المسؤولين على التسيير واتخاذ القرار (Bromberg, Trognon et autres, p25).

**ث. الصحة:** عادة ما توظف نتائج الأبحاث في علم النفس الإجتماعي في ميدان الصحة، وبالخصوص في حقول مثل العزو السببي، التأثير الإجتماعي، الإتجاهات والتصورات الإجتماعية، حيث تستغل تلك النتائج في ميدان الوقاية من السلوكات الخطرة، والحملات التحسيسية ضد الإدمان على المخدرات، الكحول والتدخين، أو معرفة وتحليل التصورات الإجتماعية للصحة والمرض لدى الأشخاص. كما تتم الإستفادة من هذا العلم في ضمان التكفل بالأشخاص المسنين (Bromberg, Trognon et autres, p23).

**ج. القانون:** توظف المعارف التي بحوزة الباحثين في علم النفس الإجتماعي لفهم وضعيات الإتصال وسيرورات التأثير من أجل تحسين نوعية المقابلات مع الشهود والضحايا، كما توظف نماذج عزو المسؤولية والعقاب لفهم ميكانيزمات الحكم والتأثير التي يخضع لها المحلفون (Bromberg, Trognon et autres, les jurés p22)، ويمكن للبسيكو-سوسيولوجيين أن يجروا أبحاثا حول تأثير الرأي العام على أحكام القضاء.

**ح. الرياضة:** عادة ما توظف نتائج الأبحاث حول الدافعية، العزو السببي، الشعور بالفعالية في علم النفس الإجتماعي من قبل علم النفس الرياضي وذلك لفهم الميكانيزمات البسيكولوجية التي تمس أداء الرياضي والطريقة التي يمكن أن تمنح لهذا الأخير الوسائل للوصول إلى قمة مكمونه الفيزيقي (Bromberg, Trognon et autres, p23)، كما توظف نتائج الأبحاث حول القيادة، تماسك الجماعة لتحسين بناء الفرق الرياضية وأدائها.

**خ. البيئة:** يمكن لعلم النفس الإجتماعي أن يفيد في تحديد الطرق التي تساعد في إقناع الجماعات بضرورة التعاون في سبيل الحفاظ على الموارد المتجددة بدلا من استنزافها (محمد السيد، ص28)، وبالتالي تحسين علاقة الفرد مع محيطه الفيزيقي والإجتماعي.

**د. النقل:** عادة ما توظف نتائج أبحاث علم النفس الإجتماعي بخصوص إدراك الخطر، سيرورات التأثير الإجتماعي لفهم وحماية وتكوين ومراقبة مستعملي الطريق المُعرَّضين للخطر (الراجلون، سائقو الدراجات، المسنون، السائقون المبتدؤون)، وكذا تحسين أداء السائق والتحسيس والوقاية في الأمن الطرقي وعقاب وإعادة تأهيل المخالفين (Bromberg, Trognon et autres, p24).

**خلاصة:**

يمكن أن نستخلص مما سبق، أن موضوع علم النفس الإجتماعي مستقل تماما عن موضوعي علم النفس وعلم الإجتماع، فهو يهتم بالفرد والجماعات الصغيرة وتأثره وتأثيره في بقية الأفراد والجماعات، ويحدث هذا التأثير والتأثر على مستوى الدوافع والسلوك والإتجاهات والتصورات والمعتقدات، والقيم، إلخ. وبما أن حياتنا الإجتماعية بمختلف جوانبها (في البيت، في الحي، في المدرسة، في العمل، في الملعب، ...) لا تخلوا من تواجد الأفراد والجماعات ومختلف التفاعلات الحاصلة فيما بينها، فإن نظريات علم النفس الإجتماعي وتطبيقاته مهمة لبقية التخصصات العلمية ومختلف الفاعلين الإجتماعيين، وبما أن هذه المحاضرات موجهة لطلبة الإعلام والإتصال فإننا نعتقد أن المحاضرات القادمة ستساعد المختص في الإعلام والإتصال على فهم دوافع الجمهور وردود فعله وكيفية استقباله للمعلومات الموجهة له وتفاعله معها، وهذا ما سيسمح له بتعديل تلك المعلومات وفقا لدراسته وفهمه لردود الفعل تلك.